المحاضرة الأولى الإطار المفاهيمي للأحلاف

تعد الأحلاف مظهرا من مظاهر تنظيم التعاون الدولي سواءا كان ثنائيا أو جماعيا ،وهي ظاهرة قديمة تعود إلى ما قبل الميلاد ،إذ في سنة 1214 ق م عقد حلف عسكري بين كل من فرعون مصر رمسيس الثاني وملك الحثيين حاتو سيلي ، كما عقد العرب حلف الفضول قبل الإسلام .وكان أداة بارزة في إدارة العلاقات في اروبا خلال النزاعات الأروبية أو الأروبية العثمانية ،كما كانت سياسة الاحلاف إحدى أدوات السياسة الإستعمارية التي إنتهجتها الدول الأروبية في إطار سياسة التوسع و النفوذ.

ورغم بروز فكرة التنظيم الدولي في الوقت الحاضر وظهور مايسمى المنظمات الدولية والإقليمية لتحقيق فكرة حماية الأمن والسلم الدوليين وحل النزاعات على المستوى الإقليمي والدولي لاسيما مع إنتشار فكرة الإعتماد المتبادل و شبكة العلاقات الإقتصادية العالمية إلا أن ترتيب العلاقات بين الدول وحتى الوقت الراهن لازال يعتمد على ظاهرة التحالف فبعد الحرب العالمية الثانية تميزت العلاقات الدولية بالصراع على مناطق النفوذ هذا الصراع الذي عرف أشده مع ظهور الحرب الباردة بين القوتين العظمتين والتي تعتبر بدايتها تكريسا واضحا لسياسة الأحلاف ودورها في إدارة العلاقات الدولية ، وقد إمتدت هذه الظاهرة لتشمل كل النظم الإقليمية الفرعية لاسيما العالم الثالث ،وذلك بسبب الإختلاف والإستقطاب الإديولوجي وكذا تضارب المصالح وعدم الثقة في ميثاق الأمم المتحدة وفي فصوله الخاصة بالأمن الجماعي .وحتى في عصر الأحادية القطبية وحتى الوقت الراهن لم تتراجع الدول عن سياسة التحالف بل أصبح من غير الممكن للدول تنفيذ أجنداتها السياسية على أرض الواقع دون التحالف مع بعضها خاصة في عصرالإنفلات الأمني وكثرة التهديدات المباشرة و الغير المباشرة .ويمكن القول أن التحالفات سابقا كانت جزا لا يتجزء من العلاقات الدولية لاسيما في شقها الصراعي أما اليوم أصبحت تحتل مكانا أوسع من العلاقات الدولية في شقها الصراعي والتعاوني إذ أصبح من غير الممكن أن تدخل الدول في علاقات مع دول أخرى إلا وهي في حالة تحالف مع غيرها من الدول .

وعلى إعتبار أن العلاقات الدولية تديرها موازين القوى المشكلة لها ،فإنه من جهة أخرى فإن الدول تدير تلك العلاقات من خلال سياسة خارجية تعتمد هي الأخرى في تحقيق أهدافها على عدة وسائل منها التحالف وفق قاعدة تزاوج او تنافر المصالح .إذا سياسة

التحالف ماهي إلا أداة يكيفها صانع القرار على اساس أنها البديل الأفضل من بين عدة بدائل متاحة لتحقيق أهداف معينة تحكمها ظروف الزمان والمكان في إطار استراتيجية الدولة الخارجية التي تحدد معالمها كل أبعاد سياستها الخارجية الأمنية و الإقتصادية ...إلخ من جهة أخرى ما يؤكد أكثر على أهمية التحالف في العلاقات الدولية هو عدم قدرة الدولة على الإعتماد الكامل على قدراتها الذاتية مهما كانت قوتها لتأمين مصالحها وتحقيق أهدافها في البيئة الخارجية ،كون التشعب الذي أصبحت تعرفه العلاقات الدولية يحول دون قدرة دولة واحدة على تحقيق مصالحها بشكل منفرد مهما كانت قوتها مما دفع البعض للقول أن العصر الحالي هو عصر تعددية لا يتحقق السلم فيه إلا من خلال سياسة التحالف التي تحافظ على ميزان قوى يساهم في ذلك .

مفهوم الحلف :

هو فكرة قديمة وهو ظاهرة حتمية إقتضتها طبيعة البيئة الدولية نظرا لتعدد القوى والسياسات وعادة ما يقتصر إستخدام القانون الدولي لكلمة حلف علىى إتفاق يجمع عدة دول لتحقيق مصلحة مشتركة وربما أن الفكر الواقعي كان الأكثر إسهاما في تحديد مفهوم الحلف فقد ظهرت العديد من التعريفات التي إتفقت أغلبها على كونه إتفاقا بين دولتين فأكثر وعلى كون هدفه تحقيق مصالح مشتركة فيما إختلف بعضها حول إلزامية الصيغة الرسمية والغير الرسمية إذ عرفه WALT " كل إتفاق سياسي عسكري بين الدول سواءا كان رسمي أو غير رسمي "وعرفه " دافييد إدواردس DAVID EDWARDS "هو إلتزام تعاقدي من النوع السياسي أو العسكري بين عدد من الدول والموجه ضد دولة محددة ولو لم تكن مسماة ،عادة مايكون في إيطار رسمي بتوقيع معاهدة أو إتفاقية " وعرف أيضا " الحلف معاهدة بين دولتيين تتعهد بمقتضاه كل منهما بأن تهب لنجدة الأخرى حال تعرضها للخطر" . وعرفه عبدالرحمن بدوي " إتفاق بين دولتين أو أكثر على تدابير معينة لحماية اعضائه من القوى الأخرى ".

مايمكن أن نستشفه من هذه التعريفات وغيرها هو أن الحلف عبارة عن إتفاق قد يأخذ شكلا رسميا وقد يكون ضمنيا ،لتحقيق أهداف مشتركة تتحكم الظروف الدولية المحيطة بأطراف التحالف في شكله وطبيعته .

ويختلف الحلف عن مفاهيم يخلطها البعض به منه كمفهوم الإنحياز والإئتلاف حيث يشير المفهوم الأول إلى تشابه سلوك دولة أو دولتين أو أكثر بخصوص قضية معينة من خلال عملية تنسيق تقوم بها هاته الدول فيما بينها لتوحيد مواقفها دون وجود إتفاق رسمي بينها ،أما المفهوم الثاني الإئتلاف فيقصد به التعاون بين دولتين أو أكثر من خلال القيام بعمل مشترك أو تبني مواقف مشتركة إتجاه طرف ما أو وضع ما دون وجود إتفاق رسمي .

يترتب عن قيام الأحلاف إلتزامات دفاعية و تعاونية شاملة تتباين من حيث صورها و مضمونها وطبيعتها تبعا لنص ميثاق الحلف ،فمثلا الأحلاف العسكرية تقع فيها على عاتق الأطراف المتعاقدة تقديم الدعم العسكري والأمني ، المشاركة المباشرة في الحرب ،الدعم اللوجيستي ...إلخ.

ومايميز التحالفات أنها :

- ضرورية لتوازن القوة
- أنها قديمة رافقت ظهور الدول ،إذ يقول هانس مورقانتو أن أية دولتين متنافستين مع بعضهما هما أمام ثلاث خيارات :
- زيادة قوتهما وبالتالي الدخول في سباق تسلح
- تضيف قوتيهما إلى قوة أخرى هنا سياسة تحالف
- الدخول في أحلاف مضادة

هنا إختيار التحالف مسألة مواءمة فإن رأت الدولة أنها بقوتها تستطيع تحقيق أهدافها أو أن مضار التحالف أكبر من عائداته هنا لا تتحالف ،كما أن وجود مصالح مشتركة و توافق وتناسق في المصالح لا يستدعي بالضرورة الدخول في تحالفات صريحة .وما يضيفه الحلف للمصالح المشتركة حتى ترقى إلى حلف هو الدقة في تحديد المصالح والأدوات الكفيلة بتحقيقها .وبالتالي حسب مورقانتو هنالك تحالفات تخدم سياسات متطابقة و تحالفات متممة ، تحالفات متبادلة و أخرى وحيدة الطرف ، تحالفات محدودة وأخرى عامة ، دائمة وأخرى مؤقتة ، فعالة و أخرى غير فعالة .

كما أن الكتلة قد يقترب مفهومها من مفهوم الحلف حيث تشير إلى عصبة إديولوجية دائمة تعمل وقت الحرب و السلم تتزعمها دولة عملاقة كالكتلة الشرقية والكتلة الغربية وقت الحرب الباردة وقد تأخذ معنى إقتصادي فتشير إلى تكتل دولي بين مجموعة دول لها مصالح

إقتصادية تحققها من خلال تكتلها .ومايميز الكتلة عن الحلف هو تجانسها المذهبي او الإديلوجي ولا يشترط ذلك في الحلف .

دوافع التحالف :

هنالك دوافع كثيرة تدفع الدول إلى التحالف منها :

- ردع الأعداء فالخوف من التعرض للعدوان هو المبرر الرئيسي لسياسة التحالف فالأنظمة المهددة في مبادئها و ديمومتها هي أكثر الأنظمة ميلا للتحالفات للحفاظ على حكمها فحسب البعض فإن التهديدات الداخلية مقارنة بالتهديدات الخارجية هي التي تحفز الدولة على إتخاذإجراءات إضافية لفائدة الحكومات للبحث عن تحالف خارجي ،وحسب البعض الآخرفإن حاجة النخب الحاكمة لضمان موقعها محليا يدفعها إلى الإعتقاد بوجود تهديدات خارجية .وربما هذا ما يقدمه الفكر الواقعي في تفسيره لسياسة التحالف .إلا أن الكثير من معاهدات التحالف لا تحدد العدو بصورة واضحة أي لا تحدد مصدر التهديد .كون نجاعة الحلف قد تقوم أكثر على حسابات الربح و الخسارة أي توفير الرغبة و القوة في إستخدامها .وحسب بورتن فإن سياسة الأحلاف تبقي على سياسة عدم تغيير الحكومات مادامت تخدم أغراض التحالف .
- زيادة القوة أي إنتهاج زيادة القوة بالتحالف بديلا عن سياق التسلح المكلفة .

نشأة وتطورالأحلاف :تختلف طريقة نشأتها من حلف إلى آخر إلا أن دراسة العديد من الأحلاف يجعلنا نصل إلى أن الأحلاف تتشكل عندما :

- تواجه تغييرات جديدة مهددة للوضع القائم عسكري سياسي إقتصادي ...إلخ ، وتطبيقا لهذه الفكرة نجد كل من حلف الأطلسي ،وارسو كانت نشأتهم نتيجة تغير الوضع القائم .
- من خلال محاولة الدولة المسيطرة تدعيم مركزها من خلال التحالف .

وتتطور الأحلاف بعد نشأتها من خلال تطور حجمها بإنظمام دول إليها. لكنها تبقى مقيدة بفكرة عدم التضارب في المصالح كما أنها مقيدة بفكرة تحقيق الهدف .كما أن ما يعيق الأحلاف هو موقف دول من الحلف من سياسات الحلف لاسيما مشاكل العضوية ودرجة إلتزام الأعضاءفي الحلف .أما عن آثار الحلف فلها أثر هام على السياسة الدولية فالعلاقات الأطلسية تأثرت بوجود حلف الناتو ،كما يعتبر الحلف

بديلا لسباق التسلح لأنه يؤمن بفكرة زيادة القوة . ومن جهة أخرى قد تكون الأحلاف سببا للحروب نتيجة الشك حيث أن التنافس العسكري بين الأطراف يؤدي إلى زيادة التوتر بسبب زيادة نفقات أعضائها العسكرية كما تنتهي الأحلاف بشكل رسمي أو واقعي أو بسبب إنتهاء مدتها في معاهدة إنشائها ،رفض الإلتزام بها من أغلب أعضائها تغيير الوضع القائم .

أنواع الأحلاف :

هنالك معايير متعددة في هذه التصنيفات :

- من حيث قانونية التحالف هنالك أحلاف رسمية تستند إلى معاهدات يتحمل الحلفاء بمقتضاها إلتزامات تعاقدية قانونية فيما يخص موضوع التعاون .وأحلاف غير رسمية تلجأ الدول الكبرى للإعتماد عليها .في حين تفضل الدول الصغرى الإعتماد على التحالفات الرسمية .
- من حيث عدد الأعضاء نجد أحلاف ثنائية وأحلاف متعددة الأطراف تلجأ في العادة النظم التسلطية الى الميل للأحلاف الثنائية ، الأحلاف الجماعية ففي العادة تميل إليها الدول الديمقراطية .
- من حيث الهدف نجد أحلاف دفاعية تنشأ بدافع الخوف المشترك وأحلاف هجومية بهدف الهجوم على دولة معينة أو إنتهاج سلوك عدائي .
- من حيث الزمن أحلاف مؤقتة يكون لها مدة زمنية تنقضي بها و أحلاف دائمة لا يحدد زمن لإنتهائها .
- من حيث العلانية أحلاف علنية وتكون معلنة وأحلاف سرية في العادة ذات طبيعة هجومية تستفيد من عنصر المفاجأة
- من حيث البعد الجغرافي أحلاف بين دول متجاورة و أحلاف بين دول متباعدة جغرافيا لكن البعد الجغرافي غير مهم المهم وحدة الهدف .

سلبيات وإجابيات التحالف :بالنسبة لسلبيات التحالف تعد من أبرز مسببات عدم الإستقرار كما تؤدي إلى زيادة شدة التوتر الدولي ،نقل الصراع أوقات الحرب إلى مناطق أخرى في العالم مثل أزمة البلقان .أما إيجابياتها فهي الحد من طموح الدول العظمى في

التوسع على حساب الدول المجاورة لها ،كما تعتبر أداة من أدوات توزيع القوة ، تقييد سلوك بعض الدول المتحالفة أو بسط الهيمنة عليها من طرف الدولة قائدة الحلف .